

الرسالة

مجلة أسبوعية للادب والعلم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire

Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المشؤل
احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ - حادين - القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ عن المدد
الاصحاحات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٤٨٧ « القاهرة في يوم الإثنين ٢٣ شوال سنة ١٣٦١ - الموافق ٢ نوفمبر سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

أمثال أخرى وأفعال

الأستاذ عباس محمود العقاد

القصص

بين الروسيين والصينيين مشابهة محسوسة وهي اشتراك كل من الأمتين في الاتصال بالمنقول من طريق المجاورة والمعايشة والمصاهرة، واقتباس كل من الأمتين كثيراً من عادات المنقول ومأثوراتهم في القصة والمثل والجديلة. فنقرأ القصص والأمثال الصينية لم يعدم بينها وبين أمثال الروسيين وقصصهم مشابهة ظاهرة في الأسلوب والمزاج، ولم يكذب تخيل بين الأسلوبين فارقاً بعيداً في غير الحواشي والتفصيلات. أما الجوهر فواحد أو يكاد أن يتوحد كما يتوحد الأقربون والصحبة المتلازمون

فاذا استحضرت أمثال الروسيين وتخلت قائلها رجلاً واحداً خيل إليك أنه إنسان صبور رصين مستسلم يعرف الدنيا معرفة هادئة، ويتحدث عنها تحدث سخر ممزوج بالألفة والمحبة، وهذه هي الصورة التي تبدو لك من قراءة القصص والأمثال الصينية مع فارق يسير تلحح في جملة الأمثال وقد تخطئه في المثل الواحد والثلاثين، وتريد به أن سقل الحضارة أظهر في أمثال الصينيين، وأن خشونة البداوة والفلاحة أظهر في أمثال الروسيين، ويتفرع على ذلك أن الصيني أقرب إلى السلم، وأن الروسي أقرب إلى الحرب، وإن كانا بتلاقيان في خصلة متماثلة وهي أنهما يباشران الحرب

الصفحة	الموضوع
١٠١٣	أمثال أخرى وأفعال . . : الأستاذ عباس محمود العقاد
١٠١٦	« حديث عيسى بن هشام » : الدكتور زكي مبارك ...
١٠١٩	« أرواح وأشباح » ... : الأستاذ محمد توحيد الحدادريك
١٠٢٢	الأزهر والامام محمد عبده : الدكتور محمد الجبى ...
١٠٢٤	وفاة الامام ابن تيمية . . : الأستاذ أحمد رمزي بك . .
١٠٢٦	ذكرى أم كلثوم } للشاعر التركي ابراهيم مسبرى بقلم الأستاذ محمود محمد شاكر
١٠٢٧	إلى المترضين علينا ... : الأب أنطاس ماري الكرملي
١٠٣٠	لذهب ... [قصيدة] : الأستاذ علي متولى صلاح . .
١٠٣٠	المقابر ... : الأستاذ محمد برهام . . .
١٠٣١	في جماعة كبار العلماء : مصادرة كتاب ومؤاخذه عالم
١٠٣١	في نسب السيديين . : الأستاذ صلاح الدين شفيق

دفاعاً فيصبران عليها ويستبسلان فيها ، ويباشرانها هجوماً وعدواناً فلا يتحركان طويلاً للحجوم ولا يحتفظان كثيراً بحماسة المدوان وقد ظهر هذا جيمه في حرب الصين واليابان وفي حرب الروس والألمان ، فظهرت شجاعة الصينيين وصبرهم كما ظهرت شجاعة الروسيين وصبرهم ، ولم يمهد للأمتين قبل الآن مثل هذه الشجاعة ومثل هذا الصبر في حروب المهجوم والمدوان

وقد تحولت من أمثال الروسيين إلى أمثال الصينيين كما تتحول اليد من فاكهة إلى فاكهة مثلها على شجرتين متقاربتين في بستان واحد ، فلم أشمر أنى أبعدت النقلة بين القطعتين وإن كان لا بد من خلاف بين ثمرة وثمره وإن قطفنا من شجرة واحدة والصينيون أولع أمم العالم قاطبة بالمثل السائر والنادرة المنجمة على حسب العبر والوقائع . وليس هذا بمجيب مع ما هو معلوم من معافاة القوم على شعائر السلف وتبجيلهم لذكري الآباء والأجداد ورجوعهم بالحكمة كلها إلى عظات الأقدمين . وفي ذلك تأييد لما أسلفناه في ختام مقالنا السابق عن أمثال الروسيين قلنا في ختام ذلك المقال أن إهمال المصريين لرواية الأمثال غير مجيب إذا نظرنا إلى الخلق الغالب بينهم ، « قفل في أبناء عصرنا من يقتدى بالسلف أو يجب أن يقال عنه إنه ممن يقتدى بهم في الميثة والسلوك ، ولا معنى لسرد الأمثال ما لم يكن ديدن السلف حجة مقبولة بين القائلين والسامعين »

والصينيون يستحدثون اليوم ما يستحدثون في عادات الميثة وآداب السلوك ولا يزالون على ديدنهم القديم من تديس الآباء وتوقير السنن المأثورة عنهم ، فلا جرم يحرصون على الأمثال حرصاً لا نعهده بين المحدثين وطلاب الاستحداث في أنحاء العالم ، ولا جرم يودعون في أمثالهم من روح الشعب ما هو أبلغ في الدلالة عليهم والإيانة عنهم من الأسفار والموسوعات

قال دكتور هنري هارت في مقدمة منتخباته من الأمثال الصينية : « كل إنسان في الصين يتمثل الأمثال ... وقد سمعنا من لسان الأباطور كما سمعنا من لسان الخادم الوضيع ، فهي عندهم العملة الجارية في اللغة ، والدرج المختصر في الحادثة ، وكثيراً ما تنفى عن المناقشات الطويلة ونجمل المقدم الشائكة . فيشوق المشاهد أن يصنى إلى المارك الكلامية التي لا تنى تردد بين أهل تلك البلاد ، إذ يمرض الخلف الصغير فيزدحم حوله الجمع

الكبير من الكسالى والمستطلعين ، وإذ يتحدث المختلطان قليلاً قليلاً وكلهم مولود على استعداد للتمثيل ، فيلوح للمشاهد أن واقع لا محالة وإن لم يكن الصينيون مشهورين بالملاعة وقليلاً ما يعتدى أحدهم باليد على أخيه ، ثم يتفق فجأة أن يتقدم أحد الواقفين - وينقلب أن يكون من الكهول أو الشيوخ - فيتكلم ويأتي بمثل موجز موافق للمقام ، فكأنما تلك الكلمة النافذة المحبوكة هي الكلمة التي كان ينتظرها الطرفان المتشاجران ، فتتحل العقدة المعضلة ، ويتراجع الحصان ، وتتخافت صورتاهما العاليان ، وترتفع ابتسامة في مكان العبوس ، وتنتهي المشاجرة على خلاف ما يود المشاهدون من طلاب العجيج والمعجيج « وهذا المشهد الذي وصفه المؤلف قد نراه في مصر وتذكر

الكلمات التي تفض بها مشاجرات الطريق ، فهي في الغالب أمثال شائمة ، وفي الأغلب عظات من الكتاب والسنة النبوية ، ولكنها في القرى أعم منها في الحواضر الكبيرة ، ولحكمة السلف ومقام الشيخوخة فيها أثر غير قليل

ولكنك لا تقرأ مئات الأمثال عندم ومئات الأمثال عندنا حتى تلمح الفارق بين الأمتين وإن اتفقتا على بعض العادات والخطرات فأول ما يدهك من جملة أمثالهم أنهم أبيقوريون يحبون الترف المريح ، ويألفون الدعة الفلسفية التي تسكن إليها النفس كما يسكن إليها الجسد ، ويؤثرون الترف من النعيم على الفرق فيه ، ويقننون بتجزئة السعادة إذ لا سبيل إلى السعادة الكاملة التي تدوم ولا يخشى عليها زوال

ومن أبدع أمثالهم التي تم على هذا المزاج قولهم : « من عاش يوماً خالياً عاش يوماً خالداً » وقولهم : « ألف ريال لا تشتري ضحكة واحدة » ؛ وقولهم : « الأمراض تدخل من الفم والمصاب تخرج منه » ؛ وقولهم : « البركة قلما تقبل أزواجاً ، والمصاب قلما تقبل فرادى »

وقد أوردنا للروسيين مثلاً يعبر عن الفوارق الاجتماعية يقولون فيه : « إن عيوننا تملأها شمس واحدة ويطوننا لا يملأها طمام واحد . وهو شاهد بارع من شواهد الطبيعة يقاربه في معدنه قول الصينيين : « الصيف للجميع والشتاء على حسب الكساء » وأوردنا للروسيين مثلاً لرشوة الحكام إذ يقولون : « من

ومن نماذج السخرية الطمئنة في أمثالهم قولهم : « بائع البطيخ يقول إنه حلوا » وقولهم : « كلب ينبج على شيء ، وألف كلب ينبج على نباحه » وقولهم : « نولد ولا محضر » متنا شيئاً ، وتموت ولا نذهب بشيء » وقولهم : « الفراب أسود هنا وأسود في كل مكان » وقولهم : « إذا خلقت السماء إنساناً فله طلب لا عمالة » وهم قدريون كالروسيين أو قدريون ككامة الشرتيين ، فليس أكثر في أمثالهم من التسليم للتقدر وقلة الجدوى في خلافه على تمدد في اللفظ وتوحد في المعنى ، كما يقولون ، وفيه شيء من سخرتهم : « يقول الإنسان هكذا هكذا ، وتقول السماء ليس كذلك ليس كذلك ا » أو يقولون : « ما يبرمه القضاء لا ينقضه إنسان » أو يقولون : « من خلق للسعادة فلا يعجل وراءها » أو يقولون « كل كأس وكل لقمة مقدرتان لعم ، لا يأخذها غيره »

ولا نهاية للمواضع والمناسبات التي يستشهد فيها ببعض هذه الأمثال الصينية التي يخطئها الإحصاء إلا أن الشاهد الأكبر فيما نحن بصدده هو هذا الاهتمام من قبل الأمم الغربية بكل جانب من جوانب البحث في البلدان التي تلتفت إليها أنظار الناس على أثر الحوادث الحربية أو السياسية التي تقع فيها . فما مضت أشهر على اشتغال الصحف بقضية الصين حتى امتلأت رفوف المكتبات بالمجلات والرسائل والمجلدات عن كل شيء يعرف - أو ينبغي أن يعرف - من أحوال تلك البلاد ، فهذا يكتب عن النهضة الصينية ، وذلك يكتب عن زعماء الصين ، وغيرهما عن تاريخ السياسة الأوربية في الشرق الأقصى ، وغيرهم يكتب عن فن الصين أو أغاني الصين أو عقائد الصين أو عسكرو الصين ، إلى أشباه ذلك مما يقترن بالصين وأبنائها ولو من بعيد ومثل هذا حدث في اهتمامهم بروسيا بعد ثورتها الاجتماعية أو بعد حربها الأخيرة مع النازية ، ويحدث مثله كذلك حول كل مسألة من المسائل القومية أو العالمية التي ترتبط ببلد من البلدان ، حتى ليصح أن يقال إن الحرب عندهم ليست شراً محضاً يجلب الخراب وينزل بالبلاء ثم ينتهي أثره عند ذلك ، لأنها في الواقع سبيل من سبيل المعرفة وباب من أبواب التعارف ، وطريق إلى كشف الظلمات عن مجاهل العالم قاصيه ودانيه

عباس محمد العقاد

باب الطريق صدقاً ومن باب السرترحيب « ويشبهه عند الصينيين في موضوع الرشوة وفعل المال في قضاء الحاجات قولهم وهو مختلف بمبارته متفق بمؤداه : « عشرة ريالات تحرك أرباب الهيكل ومائة ريال تحرك السماء نفسها ا » والقوم معروفون بقدم العهد بالدانة المدنية وحسن الحفاوة في الاستقبال ، وهو ظاهر من تمويلهم في التجارة على الابتسام - إذ يقولون ما فخواه : « إن الذي لا يفرج فمه يابتسامة لا يفرج له باب دكان » ومن استمظامهم داء الجلالة إذ يقولون : « إنها داء ليس له عند الطبيب دواء »

ومن قولهم فيما يشبه هذا ويتصل به : « إن فتح دكان لسهل ، وإنما الصعوبة أن يظل مفتوحاً ... » ومن أمثالهم التي تدل على طبيعة الخذر فيهم أو تدل على نصيحهم بالخذر والاحتراس : « احمل مظلتك والسماء صاحبة ، وادخر مؤونتك وجوفك شبران » و « الجمال لا يقع الرجال في الشرك ، إنعام الذين يقعون فيه » و « لا تشتم امرأتك في الساء وإلا نمت وحدك ! » و « المرأة الشائبة والخادمة الغبية كثران لا يقومان » و « لا ترسل الباز حتى تبصر الأرنب » وهكذا في عشرات من الأمثال

وربما كان الصينيون في طليعة الأمم التي هانت فيها أقدار القتالين وعظمت أقدار الحكماء والنسك ، ولهذا تتوارر عندهم الأمثال التي تدل على نفاسة الحكمة وصعوبة الحصول عليها من قبيل قولهم : « الذهب له ثمن والحكمة بغير ثمن » وقولهم : « طالب العلم كالصاعد في وجه التيار إن لم يتقدم فهو منحدر » وقولهم : « خذ الخمر فطرات والحكمة حريمات ا » وقولهم : « المعرفة كثر يتبع صاحبه حينما ذهب » وقولهم : « العلماء ذخائر الأمم » وقولهم : « من علمني يوماً فهو أبى مدى الحياة »

وقد اشتهروا كذلك بالسكن إلى حياة الأسرة وجيرة الوطن ، فخلت أمثالهم بالتعنى بالبيت والوطن ؛ واجتمع أفضل ما قالوه حول هذا الفرض في مثلين نموذجين أحدهما قولهم : « لا يخلو البيت من راحة ولا خارج البيت من تعب » وقولهم : « لتكن حسناء أو شوهاء فعي بلادى . وليكن قريباً أو غير قريب فهو ابن وطني ا » وربما زادنا علماً بقوام البيت عندهم قولهم : « الزوجة لفضيلتها واخليلة لجمالها »